البلاغة العامة وآلياتها التأويلية عند أوليفيي روبول

ذ. أمين صادقي
طالب باحث بسلك الدكتوراه
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس
جامعة مولاي إسماعيل، المغرب

ملخص:

تعد الخطابية حسب أوليفيي روبول (Olivier Reboul) خطابات تمد النقد باستراتيجيات التحليل والتأويل. يجب إذن على الخطابية أن تجمع بين الحجاج والأسلوب، أي بين الحجاجي والتخييلي لأداء وظيفة الإقناع. وعليه، فمنهجه يزاوج بين الحجاج والأسلوب التصويري. قسمنا هذا البحث إلى محورين: محور أول تطرقنا فيه لمفهوم الخطابية عند أوليفيي روبول وأهم الوظائف التي تضطلع بها من إقناع وتأويل وكشف وتربية، ومحور ثان هدفنا من خلاله إلى إبراز الآليات التأويلية للبلاغة العامة من حجج وصور لفظية ومعنوية وبنيوية وفكرية والتي ستعيننا بلا شك على فك شفرة مختلف الخطابات. وفي ختام الملخص، يجب التذكير بأن الخطابية فن الإقناع بواسطة الخطاب، لذلك توضع في سياق الفن الوظيفي الذي يجمع العناصر الآتية: اللغة والأسلوب، والحجج، والصور، ونؤكد مرة أخرى على أنها تمثل التوحيدَ الحميمَ بين الأسلوب والحجاج، بين التخييل والتداول تحت إطار ما يسمى بالبلاغة العامة.

كلمات مفتاحية: بلاغة عامة – حجاج – أسلوب – إقناع -خطاب.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

صادقي، أمين. (2024، دجنبر). البلاغة العامة وآلياتها التأويلية عند أوليفيي روبول. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 9 (الجزء 2)، السنة الأولى، ص 379-391.

Abstract:

According to Reboul, discursives are discourses that provide criticism with strategies of analysis and interpretation, Rhetoric must, therefore, combine argumentation and style, that is, between the argumentative and the imaginative, to perform the function of persuasion. Accordingly, his approach combines argument with the pictorial style. We divided this research into two axes: a first axis in which we touched on the concept of rhetoric according to Olivier RuPaul and the most important functions it carries out of persuasion, interpretation, revelation and education, and a second axis through which we aimed to highlight the interpretive mechanisms of general rhetoric, including verbal, moral, structural and intellectual arguments and images, which will undoubtedly help us to decipher Code of various discourses.

Keywords : General rhetoric, Argument, Style, Persuasion, Discourse.

مقدمة

يُعَدُّ علم الخطابة عند أرسطو ("الخطابية"[1] حسب ترجمة محمد العمري لمصطلح rhétorique) صناعة مكتملة ونسقا يجمع بين الجدل والأسلوب، أي بين الجانبين الحجاجي والتخييلي، حيث يمنح الإقناع (الحجج والأدلة) المرتبة الأولى، والأسلوبَ المرتبة الثانية. إذن، فالأسلوب يضطلع بدور المساعدِ على الإقناع، إذ يقول: "لقد درسنا بديّة، حسب المجرى الطبيعي، ما يَرِدُ أولا، أعني ما تتضمنه الأشياء في ذاتها مما هو مُعَدٌّ للإقناع، ويَرِدُ ثانيا الأسلوب الذي يرتب وينظم هذه الأشياء نفسها"[2]. نستنتج من هذا الكلام أن أرسطو لم يغفل دور الأسلوب لأن الخطيب ينقل للمستمعين الحجج عن طريق اللغة، فلا يكتمل الحجاج إلا باللغة والأسلوب. وهذا وجه التعالق بينهما عنده.

وسيظهر في الستينيات من القرن العشرين توجهان للخطابية: خطابية حجاجية وخطابية تخييلية، أو اتجاه حجاجي واتجاه أسلوبي. تهدف الخطابية في رأي أوليفي روبول عند الاتجاه الأول إلى الإقناع، أما في الاتجاه الثاني فإنها تشكل ما يجعل النص أدبيا، ويفترض أن الأمر المشترك بينهما هو "تمفصل الحجج والأسلوب في الوظيفة نفسها"[3]. ويمثل الاتجاه الأول شاييم بيرلمان وأولبريخت تيتيكا من خلال كتابهما "مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة"، حيث ترتكز خطابيتهما حسب روبول على الحجج، وقد هدفا في هذا الكتاب إلى إخراج الحجاج من دائرة الجدل الذي ظل لفترات طويلة في القديم مرادفا للمنطق. بينما يمثل الاتجاه الثاني كل من رولان بارت، وجان كوهن، وجماعة مو، حيث انصرفوا إلى العناية بنظرية الأدب، ودراسة الصور البلاغية، والبحث في أدبيات النصوص والخطابات المختلفة وذلك بالاعتماد على مناهج الشعرية والبنيوية والسميائية، وكذا التركيز على فن الشعر الأرسطي.

يرفض روبول الفصل بين هذين الاتجاهين، فالاتجاه الأول بتعبير بروتون "ذو بعد حجاجي قوي، في حين أن الثاني يأخذ اتجاها يرتكز إلى الشعر القديم"[4]. فالاتجاهان معا ناقصان يحتاج

---

[1] - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، 2012، ص 13.

[2]- Aristote, La rhéthorique, Traduction Norbert Bounafous, A. Durand, p. 291.

[3]- Olivier Reboul, Introduction à la rhétorique, PUF Paris, 4° édition, 2001, p. 4.

[4] - فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة محمد صالح ناحي الغامدي، الطبعة الأولى، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، 2011، ص: 106.

كل منهما للآخر لاكتمال البلاغة العامة التي يكمن هدفها الأسمى في التأثير والإقناع، فالخطابية حسب أوليفي روبول خطابات تمد النقد باستراتيجيات التحليل والتأويل.

سنحاول في هذا البحث الإجابة عن الإشكالية الآتية: كيف يمكن تطبيق البلاغة العامة على تأويل الخطابات المتنوعة؟

وسننطلق من الفرضية الآتية: إن العنصر المشترك بين التخييل والتداول هو تمفصل الحجاج والأسلوب في الوظيفة نفسها، وهذه الأخيرة هي مجال اشتغال البلاغة العامة.

وسنقسم ورقتنا البحثية إلى محورين: محور أول نتطرق فيه لمفهوم الخطابية عند أوليفي روبول وأهم الوظائف التي تضطلع بها من إقناع وتأويل وكشف وتربية، ومحور ثان نهدف من خلاله إلى إبراز الآليات التأويلية للبلاغة العامة من حجج وصور لفظية ومعنوية وبنيوية وفكرية والتي ستعيننا بلا شك على فك شفرة مختلف الخطابات.

المحور الأول: مفهوم الخطابية عند أوليفي روبول ووظائفها

1-مفهوم الخطابية عند أوليفي روبول (Olivier Reboul)

يعرف أوليفي روبول الخطابية بأنها "فن الإقناع بواسطة الخطاب"[1]، ويقصد بالخطاب كل إنتاج كلامي، مكتوب أو شفهي، مكون من متوالية من الجمل، يملك بداية ونهاية، ويدل على معنى.

نستنتج من خلال تعريف روبول للخطابية أنها لا تنطبق على جميع الخطابات، وإنما على تلك التي تهدف إلى الإقناع فقط، أهمها: المرافعات، والخطب السياسية، والوعظ، والإعلانات الإشهارية، والروايات التي تدافع عن قضايا معينة، والقصائد الهجائية والمدحية. وتقوم البلاغة إذن على الخطاب الإقناعي، أو على ما يملكه الخطاب من آليات إقناعية. فما الإقناع إذن؟

يعني الإقناع persuasion التأثير في المواقف، والمعتقدات، والنيات، والدوافع أو السلوكيات. إنه عملية تهدف إلى تغيير موقف أو سلوك شخص (أو مجموعة) تجاه حدث معين، أو فكرة، أو شيء، أو أي شخص أو أشخاص آخرين. ويتم ذلك باستخدام كلمات مكتوبة أو منطوقة لنقل المعلومات والمشاعر، أو للاستدلال، أو الجمع بينهما. ويتم توظيفه سعيا لتحقيق مكاسب شخصية، مثل الدعاية الانتخابية أو المفاوضات التجارية أو غيرها. نستنتج من ذلك أن الإقناع مصطلح شامل للتأثير في المتلقي. وقد حدد أرسطو آلياته أو وسائله التي هي أدوات في

[1]- Olivier Reboul, Introduction à la rhétorique, p. 4.

الكتابة الخطابية تصنف إلى: الإيتوس Ethos (يرمز إلى الأخلاق أو المبادئ)، والباتوس Pathos (يرمز إلى العاطفة)، وأخيرا اللوغوس Logos (يرمز إلى المنطق).

وينبني فعل الإقناع على افتراضات سابقة لسياق الخطاب وللمتلقي، وعن هذا يعبر روبول: "وإذا كانت الخطابية هي فن الإقناع بالخطاب، وجب التأكد أنه، أي الخطاب، ليس أبدا حدثا معزولا، بل على العكس من ذلك، فإنه يقابل خطابات سبقته أو ستليه، والتي قد تكون ضمنية"[1]. يذكرنا روبول في قولته هذه بأسس بلاغة الخطاب الإقناعي، لأن فن الإقناع في محاورات أفلاطون مرده الخطابة التي تهتم بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة. أما أرسطو فينظر إليها على أنها أساس قيام فلسفة الإقناع، حيث يقول: "الريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"[2]. يبين هذا التعريف أن الهدف الأساس للخطابية هو الإقناع في مختلف أمور ومجالات الحياة الممكنة.

تحمل البلاغة في عصرنا الحاضر أربعة معان متباينة حسب روبول"[3]:

المعنى الأول لمجموعة مو: تعني البلاغة في نظرهم، كل العناصر الأدبية للخطاب. أي كل ما يشكل صور الأسلوب.

المعنى الثاني لجان بليز غرايس: تسهل البلاغة تلقي الخطاب من قبل المستمع. فالبلاغي متميز عن الحجاجي.

المعنى الثالث لشاييم بيرلمان وأولبريخت تيتيكا: يطابقان بين البلاغة والحجاج.

المعنى الرابع لفرونسيس جاك: ليس هناك في نظره، مستويان في الخطاب: برهاني وحجاجي، بل يوجد ثلاثة: برهاني وحجاجي وبلاغي. ويعتبر أن الحجاج عقلاني بينما الخطابة متهمة بعدم العقلانية.

يختزل المعنى الأول البلاغة فقط في صور الأسلوب، ويهمل العلاقة بين الأسلوب والإقناع. أما المعنى الثالث فتتجلى أهمية تلك المطابقة بين البلاغة والحجاج في أن كل ما هو بلاغي سيفسر

---

[2]- أوليفي روبول، طبيعة البلاغة ووظيفتها، ترجمة: الغروس المبارك، مجلة نوافذ، النادي الأدبي، جدة، العدد،16، 2001، ص75.

[3]- أرسطو طاليس، الخطابة، ترجمة : عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979، ص: 9.

[3] - أوليفي روبول، "هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟"، ترجمة العمري محمد، ضمن كتاب البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، 2012، ص: 214.

تفسيرا حجاجيا، ونخص بالذكر هنا صور الأسلوب. يقدم روبول مثالا لذلك هو السخرية. فهذه الأخيرة حجة لأنها "ليست مجرد انبساط، أو تيسير بيداغوجي، بل إنها أحسن وسيلة لإبراز عدم التلاؤم، كالذي يقع بين الخطيب وخطابه الخاص"[1]، وكذلك الاستعارة استدلال قائم على التكثيف. فلم تعد البلاغة لباسا خارجيا للحجاج، بل أصبحت مع بيرلمان تنتمي إلى بنيته الخاصة. وهنا اختزلت من جديد في الحجاج. من خلال هذه المعاني المتعددة، كيف يمكن تعريف كلمة بلاغة؟ وماذا نقصد عندما نتحدث عن خطاب بليغ أو عن الملمح البلاغي لخطاب معين؟

سنتبنى في هذا الطرح جواب روبول الذي يعرف البلاغة بأنها "ما يجعل الخطاب مقنعا باتحاد المضمون والشكل"[2]. يقصد "بالمضمون المحتوى الإخباري والبنية المنطقية للخطاب، وبالشكل كل ما ينبع من الوجدان (الإثارة والتهييج)"[3]. هل يمكن إذن أن يستغني الحجاج عن البلاغة؟

للإجابة عن هذا السؤال يستحضر روبول ملامح الحجاج الخمسة التي يتميز بها عند بيرلمان وتيتيكا وهي: "أنه يتوجه إلى مستمع. يعبر عنه بلغة طبيعية. مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية. لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة. ليست نتائجه ملزمة"[4]. إن هذه الملامح التي تميز الحجاج عن البرهان هي ما تجعله بلاغيا.

2- وظائف الخطابية عند أوليفي روبول

تؤدي خطابية روبول عدة وظائف هامة تتمثل في الآتي:

- الوظيفة الإقناعية: حجاجية وخطابية؛
- الوظيفة التأويلية؛
- الوظيفة الكشفية؛
- الوظيفة التربوية.

---

[1] - أوليفي روبول، "هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟"، ترجمة العمري محمد، ضمن كتاب البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، 2012، ص: 218.

[2] - المرجع نفسه، ص: 218

[3] - المرجع نفسه، ص: 218.

[4] - المرجع نفسه، ص: 220

تصدر وظيفة الخطابية الأولى عن تعريفها بأنها فن الإقناع، والسؤال الذي يطرحه روبول: ما آليات الإقناع في الخطاب؟ هذه الآليات بعضها عقلي أكثر وبعضها الآخر انفعالي أكثر. لأن العقل والأحاسيس في الخطابة غير منفصلين.

إن الآليات التي تناسب العقل هي الحجج، وتنقسم هذه الأخيرة إلى صنفين: يرجع الصنف الأول إلى الاستدلال القياسي (الضمائر)، أما الثاني فيتمثل في المثال. والحال إن المثال كما أشار إلى ذلك أرسطو، انفعالي أكثر من القياس. فالأول يتوجه إلى الجمهور العريض، بينما يستهدف الثاني سامعا متخصصا.

والآليات التي تناسب الانفعالية إنما هي من جهة الإيتوس، أي الخلق الذي ينبغي أن يتخذه الخطيب لإثارة الانتباه والفوز بثقة السامع. ومن جهة أخرى الباتوس، أي الميولات والرغبات وأهواء السامعين التي يمكن للخطيب أن يستثيرها.

تتمثل الوظيفة الثانية للخطابية في التأويل. وتعني التأويلية فن تأويل النصوص والخطابات. فالخطاب ليس حدثا معزولا، وبالتالي فهو يتقاطع مع خطابات أخرى سابقة عليه أو تأتي بعده. فلكي يكون الخطيب مقنعا في خطابه يجب عليه أن يفهم أولئك الذين يواجهونه، ويدرك قوة خطاباتهم ونقط ضعفها. فلكي يكون المرء خطيبا جيدا، لا يكفيه فقط إتقان الحديث، بل أيضا معرفة من يكلم، وفهم خطابه سواء أكان هذا الخطاب ظاهرا أو مضمرا، وكشف فخاخه، وتقييم قوة حججه. فالبلاغة من هذا المنظور ليست فنا يروم الإنتاج، بل نظرية غايتها الفهم والتأويل.

وتتجلى الوظيفة الثالثة للخطابية في الكشف، حيث يُمارَسُ فن الإقناع بتأويل خطاب الخطيب. يطرح روبول سؤالا جوهريا مفاده: هل الإقناع ضروري؟ للإجابة عنه يعتقد أن الإقناع ليس إلا طريقة ماكرة ومخادعة للسيطرة على الآخر بالخطاب. فنحن نستعين بالخطابة بهدف الحصول على قدرة ما وأيضا لأجل المعرفة، والاكتشاف. يكمن دورها إذن، في ابتكار الحلول للدفاع عن قضية أو أخرى بشكل حاسم.

وإذا كانت الوظيفة الإقناعية ترتبط بالإقناع، والوظيفة التأويلية تخص النحو، والوظيفة الكشفية تهم الجدل، فإن الوظيفة التربوية تتعلق بالإبداع والثقافة. يقدم لنا روبول مثالا على أهمية هذه الوظيفة عندما حُذفت الخطابية في نهاية القرن التاسع عشر من التعليم الفرنسي وشُطبت هذه الكلمة من البرامج. ومع ذلك فحذف الكلمة لا يعني البثة حذف الشيء، فقد تصدر الخطابة من الأساتذة بطريقة غير مباشرة. أليس تعليم المرء التأليف حسب خطة والربط بين

حججه ربطا متسقا ناجعا، ومراقبة أسلوبه، وإيجاد الصيغ المناسبة والصور الصحيحة، والحديث حديثا واضحا فصيحا، خطابة بمعناها الكلاسيكي؟ إن المعايير التي يُقَيِّم بها أستاذ الآداب أو الفلسفة مثلا في ورقة تحرير احترام الموضوع، والخطة، والحجاج، والأسلوب، والشخصية، هي نفسها معايير الخطابية الكلاسيكية. فلا توجد ثقافة دون تكوين خطابي، لأن تعلم الخطابية هو قبل كل شيء تعلم الوجود والحياة أيضا.

المحور الثاني: الآليات التأويلية للبلاغة العامة

1. آلية الحجاج

صنف أرسطو الحجج إلى استقرائية، أي المثال، واستنباطية أي الضمير، فهل يحتاج أن نضيف إليه تصنيفا آخر؟ يجيب روبول بالإثبات، لأن أرسطو لا يهتم إلا بصورة الحجاج بالعلاقة بين المقدمات. أما بيرلمان فيدرس مضمون المقدمات نفسها، ويحدد أصناف حجج (المواضع) تسمح بوضع مقدمة، وتحديدا المقدمة الكبرى، يمكن أن ندرج فيها الحالة العارضة. ويصنف بيرلمان الحجج إلى اتصالية وأخرى انفصالية. وسنتحدث عن الحجج الأولى لأن روبول يختلف مع تصنيف بيرلمان في تصنيفه لحجة المقارنة. يميز بيرلمان بين ثلاثة أنواع من الحجج الاتصالية:

-الحجج شبه المنطقية: وتستمد قوتها الإقناعية من مشابهتها لتقنيات المنطق، لكن تختلف عنها بعدم إلزامية تحققها يقدم روبول مثالا لها مبدأ التعدية الذي يقوم على صيغ رياضية كالمثال الآتي:

+ = + X + **أصدقاء أصدقائي هم أصدقائي**. فهذه الحجة ليست ملزمة التحقق أو ضرورية التصديق.

-الحجج المؤسسة على بنية الواقع: تستمد صدقها من الواقع، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع:

أولا: الحجة السببية: تربط بين النتيجة والسبب. مثال ذلك: **هذه الدولة قوية، لأن جيشها انتصر في عدة معارك**.

ثانيا: الحجة التوجيهية: تعتمد جلها على التحذير. مثال ذلك: **إذا تنازلت مرة، وجب عليك التنازل كل مرة**.

ثالثا: حجة السلطة: ترتكز على مكانة المتكلم ونفوذه وسلطته، حيث يوظف فيها استشهادات قوية.

-الحجج المؤسسة لبنية الواقع: تربط بين عنصرين لا يجمعهما شيء في الواقع وعلى المتكلم إنتاج ذلك الربط، وأنواعها:

أولا: حجة المثال: يملك المثال دورا أضيق من دوره عند أرسطو، إنه الحجة التي تذهب من الواقعة إلى القاعدة. مثال ذلك: **بائع صحف بسيط في أمريكا أمسى مليارديرا، بهذا يمكن لأي كان أن يصبح مليارديرا**. وتكون العلاقة بين الموضوع والمثال علاقة تشابه.

ثانيا: حجة النموذج أو الشاهد: يقدم المتكلم نموذجا وقدوة بهدف الإقناع. مثال ذلك: "**الأب: عندما كان نابليون في سنك كان الأول في القسم**"[1].

ثالثا: حجة المقارنة: وضعها بيرلمان في الحجج شبه المنطقية، محتجا على ذلك "بأن القياس فعل رياضي"[2]، بينما يضعها روبول في هذا الصنف مستدلا بأن ما نقيسه يكون دائما تجريبيا وترتبط بفعل تأسيس بنيات الواقع. إنها تقيم علاقة بين حدين اثنين (أكبر من، أفضل من، أجمل من، إلخ) بنية لا يفرضها الواقع. وتكون الحجة قوية إذا قارنت وقائع من جنس واحد، مما يجعلنا نُخضِعها للمعيار ذاته. مثال: **حصل الطالب على نقطتين فوق المعدل**.

رابعا: حجة المماثلة: يقوم الاستدلال بالمماثلة على بناء بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة بفضل تشابه في الصلات. إذن فالعلاقة بين الموضوع والمثال ليست علاقة تشابه، بل يكون التشابه في العلاقات. نثبت في الرياضيات قيمة حد بمساواة في الصلات: أ/ب= ج/د، إذن د=ب ج/أ. إذا كانت 3/2=10/د، فإن د=15. إن الحدود الأربعة مختلفة، لكن صلاتها متماثلة. لنأخذ المثال الآتي: **إن التراتبية أشبه بالرفوف، كلما كانت أعلى، كانت أقل صلاحية.**

يُظهر التمثيل صلتين أو علاقتين، الأولى هي الموضوع الذي نريد إثباته، نعني أن أعلى التراتبية لا يصلح لما هو مفيد. والثانية هي الحامل الذي يؤدي دور الإثبات، نعني أنه كلما كان الرف عاليا قل الوصول إليه. ويكون الحامل محسوسا يُظهر صلة نعلمها، بينما يكون الموضوع مجردا يلزمنا إثباته. يقدم إذن التمثيل فائدة تفسير البنية والوظيفة الحجاجية للاستعارة. وهذه الأخيرة حسب بيرلمان، تمثيل مكثف يعبر عن بعض عناصر الموضوع والحامل بإضمار الأخرى. وقد اشتق أرسطو الاستعارة من التمثيل كما سنرى في المثال الآتي: "**الشيخوخة مساء الحياة**"[3].

---

[1]- Olivier Reboul, Introduction à la rhétorique, p. 187.

[2]- Olivier Reboul, Introduction à la rhétorique, p : 187.

[3]- Ibid, p. 190.

إن التمثيل هنا ضمني:

الموضوع	الحامل
أ-الشيخوخة	ج-المساء
ب-الحياة	د-النهار

تحليل: مثل الشيخوخة للحياة كمثل المساء للنهار، لكن أحد الحدود الأربعة مضمر في الاستعارة. فهذه الأخيرة تُكثف التشاكل الذي يمكن أن يُعبِر عن نفسه كتمثيل: إن الشيخوخة كمساء الحياة. ولا وجود لاستعارة إلا إذا كان التمثيل قائما على حدود مغايرة.

2. آلية الصور

تعد الصورة البلاغية حسب روبول طريقة أسلوبية تسمح للمرء بالتعبير الحر والمقنن في الآن ذاته. وتؤدي وظيفة الإقناع. يعني بأن المتحدث حر في استحضارها بمحض اختياره، بحيث يستطيع تعويضها بغيرها، أما قصده بأنها مقننة، انتسابها إلى نسق أو بنية معروفة مثل الاستعارة والكناية.

وسندرس هنا دورها الحجاجي، حيث صنفها روبول حسب علاقتها بالخطاب الذي تنتظم فيه وتتأطر:

1.2- الصور اللفظية

تختص صور الألفاظ بالقول الشعري والهزلي ولكنها مع ذلك، تلعب دورا حجاجيا. وتنقسم إلى مجموعتين: الصور الإيقاعية، والصور الصوتية.

أولا-الصور الإيقاعية: لإيقاع الجملة عند القدامى أهمية بالغة، فهو موسيقى الخطاب، الأمر الذي يجعل التعبير متناغما ومؤثرا وسهلا حفظه.

ثانيا-الصور الصوتية: الجناس الحرفي والجناس غير التام، والتكرار المغاير:

تقوم هذه الصور على الوحدات الصوتية أو على المقاطع اللفظية أو على الكلمات. تتمثل الأولى في الجناس الحرفي allitération الذي يقوم على تكرار الحرف نفسه في الجملة. يعطي روبول مثالا لذلك: [1]« La grogne, la rogne, et la hargne. (r, gn) »

[1]- Olivier Reboul, Introduction à la rhétorique, p. 124.

أما الثانية فتتجلى في الجناس غير التام(paronomase) ، مثل القافية التي تتكرر في نهاية الكلمات بإيقاع منتظم.

أما الثالثة فتقوم الصور فيها على الجناس التام (homonymie)، أو من خلال تعدد المعاني. ويتمظهر الجناس التام في الكلمات من خلال التورية (calembour)، التي تُقَرِّب بين كلمتين متماثلتين من حيث الصوت، لكنهما تختلفان من حيث المعنى. بينما يتمظهر تعدد المعاني في الكلمات من خلال التكرار المغاير (antanaclase)، الذي يلعب على المعنيين المختلفين شيئا ما للكلمة نفسها. مثال ذلك ما يلي: [1]«**Prenez votre cœur à cœur**»

احرص العين بالعين. ويعني هذا المثال أن يحافظ المرء على عينه التي يبصر بها (معنى كلمة العين الأولى) بأمواله (معنى كلمة العين الثانية)، وذلك من خلال مداومة تطبيبها وتقديم الأكل المغذي والمفيد للحفاظ على سلامتها، ولن يتحقق هذا إلا ببذل المال.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، أين تكمن القوة الإقناعية لهذه الصور اللفظية؟ نجيب بأنها تثير الانتباه وتسهل التذكر، لكن هذا ليس كل شيء. لنذكر بالمبدأ اللساني الذي يقول باعتباطية العلامة ويقرر أن الكلمات ليست معللة، فلا سبب يجعل قول طاولة أولى من قول (table)أو (tisch)، وينطبق هذا القول كذلك على صورنا اللفظية، إذ لا يكون مدلولان متماثلان لتماثل داليهما. تُحْدِث الصور اللفظية تناغما ظاهريا ومؤثرا في الآن ذاته، يوحي بأن تشابه الأصوات ليس صدفة. إنه من حيث الأسلوبُ يقدم دليلا لذلك التناغم.

2.2- الصور المعنوية

إذا كانت الصور اللفظية تقوم على الدوال، فإن الصور المعنوية تقوم على المدلولات. وتدخل ضمنها الاستعارة الخاصة بدلالة لفظ أو مجموعة من الألفاظ. وتتمثل بتوظيف حد بمعنى ليس له. سنأخذ المثال الآتي: **العين تسمع**. نلاحظ في هذه العبارة خرقا للقاعدة المعجمية التي تريد للعين أن تنظر وألا تتدخل في عمل جارتها، لكن المعنى الحرفي للعبارة لا يفي بالغرض ويغير لها قصدها، لأن العين التي تسمع عملا فنيا على سبيل المثال تفهمه. فتسمع إذن هي الكلمة الأصح في هذا السياق. وبالتالي، فالصورة المعنوية تضطلع بدور معجمي لأنها تغني معنى كلمات المعجم، وهي مجاز دال مأخوذ بمعنى دال آخر، لكن ليس كل مجاز صورة معنوية. وهكذا، يمكن أن نقول عن

[1]- Ibid, p. 125.

الصورة المعنوية ما قاله أرسطو عن الاستعارة بوجوب كونها واضحة ومستجدة وممتعة، مثل اللغز الذي نسعد بحله.

3.2- الصور البنيوية

يدخل ضمن الصور البنيوية إيجاز الحذف. يقوم هذا الأخير على حذف كلمات ضرورية للتركيب، لكنها ليست ضرورية للمعنى. ومن أمثلة ذلك الأمثال الآتية: **فم عسل، وقلب مرارة...** ويبدو أن إيجاز الحذف وسيلة لخلق الصور أكثر من كونه صورة. والفصل البلاغي نوع من إيجاز الحذف يزيل كلمات الوصل سواء التعاقبية (قبل، وبعد) أو المنطقية (لكن، ولأن، وإذن). إنه في الآن ذاته تعبيري، مثل: حضرتُ، وانتصرتُ، وأذهبُ. وتربوي لأنه يدع للسامع أمر استرجاع الرباط الغائب مما يجعله شريكا للخطيب. يقدم روبول مثالا لذلك الشعار الذي أذاعته الحكومة الفرنسية سنة 1987، بعد إصدار مرسوم حرية الأسعار: "**الأسعار حرة، أنتم أحرار**"[1]. يلعب هذا الشعار دورا كبيرا على الفصل البلاغي، حيث يمكن إضافة "إذن" بين الجملتين.

4.2-الصور الفكرية

تدخل ضمن الصور الفكرية كل من الأمثال والتهكمات التي تخص علاقة الخطاب بصاحبه (أي المُخاطِب) أو بموضوعه. وهي مستقلة مبدئيا عن الصوت والمعنى والتركيب لأنها تدرس أوجه الصلة بين الأفكار. وتقوم على ثلاثة معايير: الخطاب، وعلاقة الخطاب بمرجعه، والمعنيان الحرفي والمجازي. مثال ذلك: **من يزرع الظلم يحصد سوء الحظ.**

3.الوصل بين الشعرية والخطابية: البلاغة العامة

عمل البلاغيون المحدثون على إظهار مدى صلابة الأساس العلمي لقيام بلاغة عامة، بوصفها "علما كليا يستوعب ثمار علوم اللسان وعلوم الإنسان"[2]. وفي هذا السياق، يتطلب بناؤها حسب ميشيل مايير عدم التفريق بين الشعرية والخطابية كما فعل أرسطو، حيث إن الشعر "لا وجود يحتمل الوجود" والخطابة "وجود يحتمل اللاوجود"[3]. أي مثل ما عبر عن ذلك أرسطو حين اعتبر الشعر كذبا يحتمل الصدق، والخطابة صدقا يحتمل الكذب. وقد توجهت جهود روبول إلى

---

[1]- Olivier Reboul, Introduction à la rhétorique, p : 133

[2] - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص:21

[3] - Michel Meyer, conclusion : ya-t-il un fondement possible à l'unite de la rhétorique ? , Bruxelles. 1990. p : 255

المنطقة المشتركة قصد توسيعها لتكون موضوعا للبلاغة العامة، فاستعمل بذلك لفظ région للتعبير عن هذه المنطقة حيث قال:

"سنتبنى نحن حلا ثالثا، لن نبحث عن جوهر البلاغة لا في الأسلوب ولا في الحجاج، بل في المنطقة région التي يتقاطعان فيها بالتحديد. بعبارة أخرى، ينتمي إلى البلاغة بالنسبة إلينا كل خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث: المتعة والتعليم والإثارة مجتمعة متعاضدة، كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج"[1]

وقد درس روبول الموضوع من الناحية المنطقية واللسانية في مقاله الموسوم ب: "هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغيٍ"[2]. كما قام بتقريب قطبي الاحتمال (الصدق والكذب) من خلال دراسة آلياتهما الأسلوبية والحجاجية. وبهذا نستطيع الحديث عن بلاغة الصورة وبلاغة الحجاج.

ينتهي الباحث إلى تأكيد دور الصورة في تسهيل عملية الحجاج لأنها تشارك فيه، كما أن لهما وظيفتين متلازمتين: وظيفة خارجية (مساعدة) ووظيفة داخلية (فاعلة)، "وهذا التلازم هو في حد ذاته جوهر البلاغة"[3]. وبذلك تكون الصورة البلاغية أقوى من الحجة التي تقوم بتكثيفها، وتكون الحجة صورة يسري عليها ما يسري على الصور من انعدام الدقة، وتفاعل الذوات.

خاتمة

وختاما، يعد روبول من الباحثين الذين اهتموا بالمشترك بين كل من التخييل والتداول متأثرا بما جاء به أرسطو ومتنه الكلاسيكي ذي الطابع الخطابي الذي ينطلق من وجود معنى تتوارد عليه الصور اللفظية لتتناوب بذلك الدلالات من خلال "إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة"[4]. ويقر من خلال الاتجاه الذي ينحوه إلى إمكانية الدمج بين التخييل (الشعري) والتداول (الخطابي) في نطاق بلاغة عامة تفحص مختلف الخطابات على نحو وظيفي.

ونوضح من خلال ما سبق، أن البلاغة كانت دائما نقطة تقاطع بين الشعرية والحجاج، لأنها تجمع بين معنيين هما: الصياغة الجميلة وعلم تحليل الخطاب.

---

[1] - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص:22. نقلا عن:
Olivier Reboul, la figure et l'argument.

[2] - المرجع نفسه، ص: 22.

[3] - المرجع نفسه، ص:26.

[1]- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1987، ص، 162.

لائحة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- أرسطو طاليس، الخطابة، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979.
- فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة محمد صالح ناجي الغامدي، الطبعة الأولى، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، 2011.
- أوليفي روبول، طبيعة البلاغة ووظيفتها، ترجمة: الغروس المبارك، مجلة نوافذ، النادي الأدبي، جدة، العدد،16، 2001.
- أوليفي روبول، "هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟" ترجمة العمري محمد، ضمن كتاب البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، 2012.
- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1987.
- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، 2012.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Aristote, La rhéthorique, Traduction Norbert Bounafous, A. Durand, Libraire, Paris 1856.
- Groupe µ, Rhétorique générale, Éditions du Seuil, coll Points, Paris, 1970.
- Michel Meyer, conclusion : ya-t-il un fondement possible à l'unite de la rhétorique ? Bruxelles. 1990.
- Chaim Perelman et Olbrechts- Lucie Tyteca, Traité de l'Argumentation : La nouvelle rhétorique, Bruxelles : Édition de L'Université de Bruxelles, 1988.
- Olivier Reboul, Introduction à la rhétorique, PUF Paris, 4° édition, 2001.